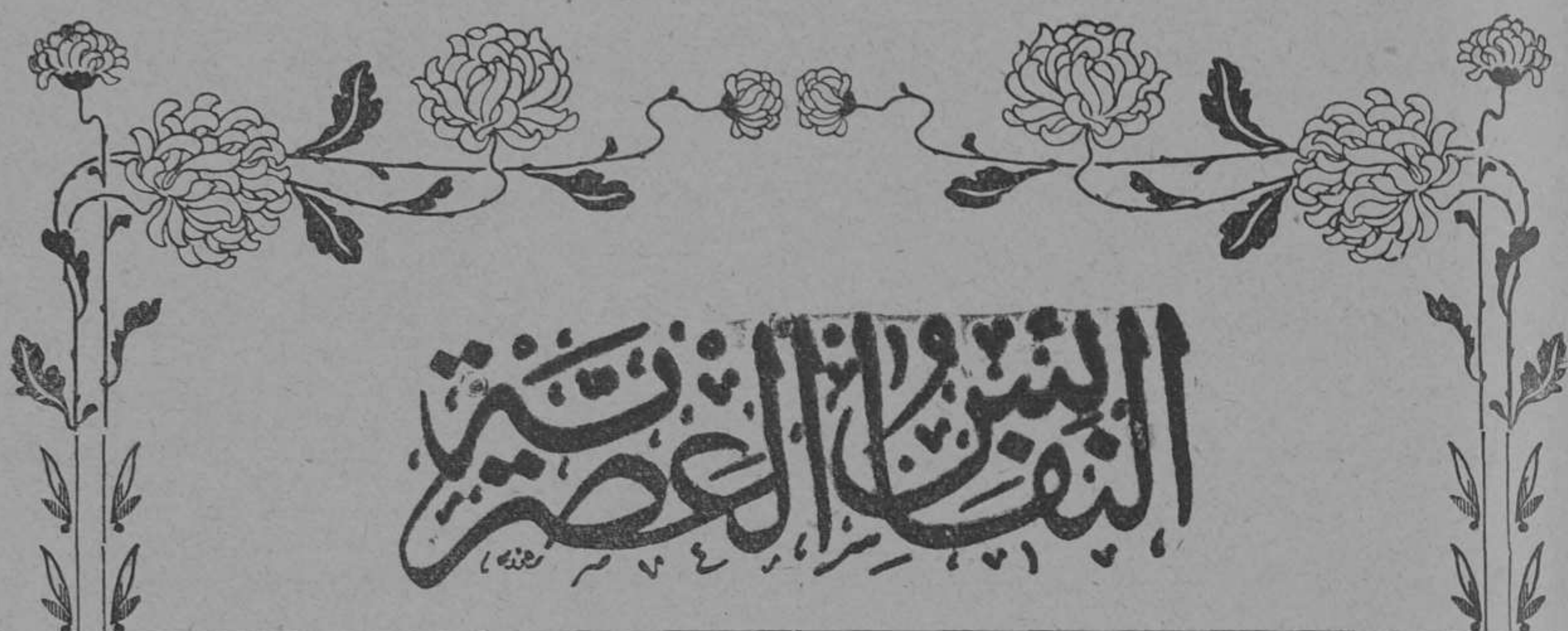




الجزء الرابع | نيسان سنة ١٩١١ | السنة الثالثة


## الطيران

— ٤ —

كان لنجاح البالون الذي اخترعه منغلفيه على ما بيَّنَّا في الجزء الماضي سرور عظيم شمل جميع سكان فرنسا . وقد اطراه الكثيرون وقالوا ان له اهمية لا تقلّ عن اهمية اكتشاف اميركا . وكتب لافوازيه في تقريره الى اكاذيمية العلوم الفرنساوية ان لهذا الاختراع مستقبلاً عظيماً لانه سيحقّق كثيراً من آمال البشر . وقال غيره ان عصر البالونات سيكون عصراً جديداً مجيداً في تاريخ الانسان . وعليه فلا غروَ اذا أصبح الاهتمام بالبالونات بعد ذلك شغلاً شاغلاً لاهل البحث من ارباب العلوم والفنون وبُذلت في سبيل ذلك الاموال الجزيلة وقام نفرٌ من ارباب العزائم يزاولون الامتحانات والتجارب على وجوه شتى . واول من نجح في تجاربه بعد منغلفيه العالِم الطبيعي الفرنساوي شارل كما اشرنا الى ذلك في

الجزء الماضي من هذه المجلة . فقد ابدل شارل الهواء السخن بالهيدروجين لانه اخف الغازات وبذلك خدم فن الطيران خدمةً تُذكر . ولم يلبث ان اشتهرت طريقتهُ وعُوّل عليها زمنًا مديداً لانها اسهل من طريقة منغلفيه وأَسلم خطراً فضلاً عن ان بالونات شارل كانت اصغر جرمًا من بالونات منغلفيه بنحو اربع مرّات . وأَضاف شارل الى بالونهِ زورقًا يُناط بأسفل البالون وله شبكة ومرساة وجعل في البالون نافذة لتخفيف الغاز منه في اثناء الهبوط . وهو اول من اشار بأخذ الاثقال في البالون وهي اكياس من رمل كانوا يطرحونها من البالون اذا أُريد التحليق به كثيراً

ثم صاروا يملأُون البالون بغاز الضوء فيطير حاملاً ثلاثة او اربعة رجال ويحلّق بهم في الجوّ . ومعلوم ان هذا الغاز هو أيسر تناولاً واقلّ كلفةً من الهيدروجين

وبعد شارل تعددت الامتحانات في فرنسا وخارجها وبالرغم عن الاخطار الشديدة التي كان يلاقيها الطيارون والنفوس الزكية التي ذهبت ضحية هذه التجارب ظلّ كثيرون ممن لا تروعهم المهالك عاملين على تحقيق هذه الامنية بكل وسيلة

ففى سنة ١٧٨٤ صنع بلانشار بالونًا قطره ٢٧ قدمًا وطار بهِ من باريس ونزل قرب سافر . ثم طار به من دوفر بانكلترا في السنة التالية هو والدكتور جفرس الاميركي وسارا قاصدين كالى فوق الخليج الانكليزي فلما صارا في منتصف الطريق رأيا البالون آخذاً في النزول فرميا المرساة

وثيابهما وكادا يقطعان المركبة ويرميانها لانهما خافا من الغرق . لكنه صعد بهما حينئذٍ وظلَّ سائراً الى ان مرَّ فوق الخليج كله ونزل في البر الفرنساوي سالماً

وفي سنة ١٧٨٤ طارت في البالون امرأة تدعى تيبل وهي الاولى من جنسها وقد عرّضت نفسها لمثل هذا الخطر «حباً الى مجد الملك»

واول من ذهب ضحية الطيران روزيه وبلانشار وتبعهما في ذلك جمهور لا يحصى عدده . وكان الطيران معروفاً في بادئ الامر في فرنسا ثم انتقل الى البلاد الاخرى ونجح نجاحاً كبيراً

— ٥ —

اول ما ظهرت البالونات تنبه اصحابها الى اهم عيب فيها وهو انها حالما ترتفع في الجوّ تصبح تحت رحمة الرياح بلا قيد ولا شكيمة . فأخذ ارباب هذا الفن يبحثون عن طريقة يملكون بها قياد البالون في عنان الجوّ ويصرّفونه في الوجهة التي يختارونها . واول ما ذهبوا اليه لادراك هذه الغاية هو ان يسوقوا البالون كما تُساق الباخرة على وجه المآء بالسكّان (الدفة) والمجاذيف والاشرعة . واول من امتحن ذلك بلانشار السابق الذكر غير ان عمله كان غروراً ولم يفد شيئاً

وفي سنة ١٧٩٦ عرض احد رجال فرنسا المسمى كامبينا على الامبراطور نابوليون بونوبارت ان يصنع "باخرة هوائية" في استطاعتها ان تحمل ٢٠٠ رجل ويكون هو ربانها . ومما كتبه للامبراطور بهذا الشان قوله : « فاذا ركبتَ يا مولاي هذه الباخرة تصير اشبه بجوبيتر اله الرعد فتسبح في

الهوآء فوق اساطيل العدوّ وتدمرها متى شئت بالمقذوفات التي تطرحها عليها من الباخرة ...» واستعد هذا المغرور ان يطير بمنطاده من باريس الى لندن فيدمرها ويعود الى باريس بأَربع وثلاثين ساعة ... ولكنه لم يخرج عن حدّ القول

وفي هذه الاثنآء انتشرت آرآء واقاويل شتى لم تأتِ باقل فائدة بل كانت ضربًا من الخرافات والترهات وبسبب ذلك أَعلنت اكاذيمية العلوم في فرنسا ان جميع هذه الامتحانات والآرآء لم تفِ بالغرض وان مسئلة الطيران ستظل عقدةً صعبة الحلّ . ومضت بعد ذلك مدة طويلة لم يُسمَع فيهاشيءٌ عن الطيران ولم تجرِ امتحانات لتحقيقه . ولم يعد الطيارون الى تجاربهم الاَّ في بدء النصف الثاني من القرن التاسع عشر

واول من نجح بتجاربه في هذا العهد رجل فرنساوي يُقال له جيفار فقد صنع سنة ١٨٥٢ بالونًا مستطيلاً وضع فيه آلة بخارية يستطيع بها ان يقطع مترين او ثلاثة في الثانية . غير ان جيفار لم يُتح له ان يتقن بالونهُ فقد كفّ بصره في اثنآء امتحاناته . ومن ذلك الحين عدل صانعو البالونات عن الشكل الكروي لها وصاروا يصنعونها مغزليّة مستطيلة مستدقّة الاطراف

وفي خلال الحرب الفرنساوية الالمانية (سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١) طار من باريس في اثنآء حصارها من الالمان خمسة وستون بالونًا بمئة وخمسة وخمسين راكبًا وفي جملتهم الخطيب المشهور والسياسي الكبير غمبتا . وكانت هذه البالونات هى الوسيلة الوحيدة لاتصال المخابرات بين

باريس وغيرها من المدن . من ذلك بالون طار في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٨٧٠ بطيارَين اسمهما روليه وديشان وقد حملا فيه اكياساً كبيرة ملأى بالرسائل الخطيرة . ولما كان هذا المنطاد محلقاً فوق معسكر الالمان اخذ الجنود يرشقونه بالرصاص فرمى روليه ورفيقه كيسين من الرمل فحلَّق المنطاد الى علوّ ٢٧٠٠ متر ونجا من نار العدوّ . وعند الفجر كان هذا البالون فوق البحر فخاف راكباه وفضلا الموت السريع في الجوّ على الغرق في البحر وعزما ان يحرقا البالون ولكن الثقاب لم يشعل لشدَّة الرطوبة فأَخذ البالون في النزول ولم يكن لراكبيه من وسيلة لايقافه لان اكياس الرمل التي كانت لديهما قد نفدت فحينئذٍ اضطرّ روليه ان يرمي اكبر اكياس الرسائل (ثقله نحو ٥٠ رطلاً) فعاد البالون وحلَّق في الجوّ على علوّ خمسة الاف متر وكاد يتمزق من شدة تلاعب الرياح وقد يئس روليه ورفيقه من النجاة . غير ان البالون بعد ان جال بهما في طبقات الجوّ نزل سالماً في بلاد نروج بالقرب من خريستيانا (العاصمة) على مسافة ١٥٠٠ كيلومتر من باريس

وعلى اثر ذلك ادخل الميكانيكي الشهير ديبوي دو لوم[١] اصلاحات كثيرة في صناعة المناطيد فقد اخترع بالوناً يُساق بواسطة آلة كهربائية يديرها اربعة رجال اقوياء وأَطاره في سنة ١٨٧٢ بسرعة ٢٫٦ من الامتار في الثانية ورأى ان البالون في استطاعته ان يقاوم الريح اذا كانت سرعتها اقلّ من سرعة البالون . ومن حسنات هذا الاختراع ان صاحبهُ

---

١) هو الذي صنع اول مدرَّعة في العالم

قد علق الزورق (الذي يركب فيه الركاب) بالبالون على وجه يكون فيه ثابتاً لا يتقلقل ووضع في جوف البالون زقاقاً مملوءة هواءً حتى اذا ضغط الهوآء فيها صغر حجمها وأشغلت حيزاً أصغر من الحيز الذي كانت تشغله قبلاً والغرض من ذلك ان يبقى جرم البالون على حال واحدة سواء علا في الجو او سفل . وبيانه انه اذا كان البالون واطئاً يكون ضغط الهوآء على خارجه أعظم مما اذا علا لان ضغط الهوآء يقل كلما علا عن سطح الارض . اما مكان الضعف في هذا البالون فهو انه كان يُساق بلفّة كهربائية يديرها الرجال بايديهم

وتلاه المهندس غينلين فاخترع بالوناً بآلة تُدار بالغاز وسرعتها خمسة امتار في الثانية

وفي ١٥ نيسان سنة ١٨٧٥ أطارت جمعية الطيران في فرنسا بالوناً بثلاثة رجال من اهل هذا الفن وهم تيساندیه وسبینلّي وسيفل فركبوا البالون وطاروا الساعة الثانية عشرة نهاراً ومامضى الا ساعتان من الزمان حتى صاروا على علوّ سبعة الاف متر وبالرغم عن شدة عصف الريح فقد عزموا ان يحلّقوا اكثر وكانت درجة البارومتر ٢٨٠ ميليمترا . واسمع ما قاله تيساندیه بهذا الشان : «وقد أردتُ ان أَصيح بأَعلى صوتي اننا أصبحنا على علوّ ثمانية الاف متر فخانتني قواي وشعرتُ بان لساني قد فُلج ثم أُغمضت عيناي وسقطتُ الى اسفل الزورق ولما أفقت كانت درجة البارومتر ٣١٥ ميليمتراً ونحن على علوّ ٧٣٠٠ متر . ثم اخذ البالون في الهبوط وكان رفيقاي مطروحين في اسفل الزورق مغشيّاً عليهما» . ولما أفاق سبينلّي ورأى سرعة

انحدار البالون اخذ يرمي من الزورق كل شيء وقع تحت يديه فعاد البالون وحلّق في أعلى الطباق فأصاب الركاب دوار شديد وقد اظلمت وجوههم وانتفخت عيونهم وامتلأَت افواههم دماً و كانوا معرّضين لخطر الموت ولكن البالون عاد فنزل بهم سالماً



## هو وهي

منزل فخيم . فيه من الرياش البديع والاثاث الجميل والتحف النادرة ما لا يقع تحت حصر

في غرفة من غرفهِ الفسيحة جلس ذات مساء الخواجا فيليب ومدامتهُ السيدة فريدة . وكان فيليب شيخاً وقوراً مهيباً قد كلل الشيب رأسه وجعد وجههُ وكان لهُ من العمر نحو الثمانين ولمدامته نحو السبعين

ولما جلس في كرسيه مدّ يده الى مائدة امامه فتناول لفافة يريد ان يدخن فابتدرته زوجته قائلة — كيف تريد ان تدخن وقد منعك الطبيب ذلك؟

فأَجاب — انه لم يمنعني التدخين بتاتاً بل أَذن لي به بعض الاحيان وانا الان اشعر من نفسي بارتياح الى التدخين وخصوصاً لاني قضيتُ هذا النهار بطوله وانا في تمام الراحة والعافية فأَرجو منك ان تسمحي لي بلفافة ادخنها ونحن هنا جالسان نتذاكر او يمعن كلٌّ منا في تخيلاته وتأملاته

هي — انت تحب كثيراً هذه التأملات والتخيلات وما هي في

الحقيقة الاَّ مبعث الاسف والتلهف

هو — لم تصيبي في قولك . فلا يتأسف المرء الا اذا اراد شيئاً وحال دون الوصول اليه حائل . ومهما يكن من الامر فالاسف لا يجدي نفعاً مَن كان في مثل هذه السن وقد نضب فيه ماء الحياة ولم يبقَ له من امل سوى انتظار الموت . وانما تلذُّ له ذكرى ما مضى من ايام شبابه واوقات هنائه

هي — والاحزان ؟ والاهتمامات ؟ والمكاره ؟

هو — يُرى كل ذلك في افق الماضي البعيد ولكن في صورة مصغرة جداً بحيث لا يكاد يُنظَر

هي — وهل هذا الذي تقوله حقيقة راهنة ؟ وهل ان جميع الاحزان والاكدار التي يعانيها المرء طول حياته تفقد كل قوتها في شيخوخته ؟

هو — اجل هذا هو الصواب . يدرك المرء سن الشيخوخة اي الحد النهائي للحياة فينظر الى الوراء ولا يكاد يرى شيئاً كما اننا ننظر الى رماد هذه اللفافة بدون ان نتصور وجود نار قبلها . ونعم ان في كل حياة اكداراً وحوادث مختلفة ولكنها في سن الشيخوخة قد اصبحت رماداً فلا ننظر اليها الا وقد نسينا او تناسينا كل شيء

هي — فانتَ اذاً تعتقد بان جميع حوادث الحيـاة تمسي في سن الشيخوخة رماداً ليس تحته نار ؟

هو — بلا شك

هي — وتنظر ايضاً الى الماضي بخلو البال ؟

هو ـ نعم وهذا ما يجعل الشيخوخة صالحة هادئة مطمئنة لا شيء يشوب صفاء غروبها

هي ـ ولو فرضنا انه قد جرى في الماضي حادث من الحوادث العائلية المهمة ولم تعلم به وقتئذٍ بل علمت به الان في هذه السن فماذا يكون تأثيره فيك ؟

هو ـ أنظر اليه بابتسام وخلو بال

هي ـ واذا كان هذا الحادث اساءةً لا يغتفرها دم الشباب وهي لو ظهرت في حينها لكسرت قلوبًا وأجرت دماء فماذا يكون نظرك اليها الان ؟

هو ـ كأنها لم تكن

هي ـ لعلك تقول ذلك حبًّا الى تأييد مبدئك فقط

هو ـ كلا ثم كلا بل ان ذلك ما اعتقده وذلك نتيجة الثمانين عاما التي قضيتها

هي ـ فلو ذكروا لك عني ما شاءوا فهل تبقى ساكنًا مطمئنًّا ؟

فبهت فيليب لدى استماعه هذه العبارة وقال ـ وكيف ذلك ؟

هي ـ لو قالوا لك مثلاً اني لم اكن امينةً في حقك وأيَّدوا ذلك بالبرهان فانت كما يجب ان يُفهم من كلامك يجب ان تبقى ساكنًا هادئًا ولا تثور عواطفك

هو ـ أصبتِ

هي ـ وهل انت واثق كل الوثوق بعدم تهييج عواطفك لشيء

مهما كان شديداً وقعه ؟

هو ـ نعم

هي ـ اذاً انا مسرورة جداً

هو ـ ولماذا؟

هي ـ لاني أستطيع اخيراً ان اكون صريحة في القول وأستطيع ان اطلعك على سرٍّ خفيٍّ طالما حملتُ وقره كل هذه السنين فأُريد الان ان أطرحهُ عن عاتقي لانهُ بهظني جداً وأعدمني كل راحة

هو ـ واي سر تعنين ؟

هي ـ ان ذلك من اسرار الماضي فقد خنتك وكذبت عليك وسخرتُ بك ولم اكن زوجةً صالحة امينة كما كنتَ تدعوني

فأجفل فيليب لما سمع منها ذلك وجحظت عيناه ثم وثب عن كرسيه كمن لدغته أفعى ولكنهُ لم يلبث ان قهقه ضاحكاً ضحكة عالية وقال ـ اني لا اصدق هذا الكلام وأعتبره من باب المزاح والمجون . فما امهركِ ايتها المرأَة بضروب التظاهر والحِيَل ! !

هي ـ انت واهم يا عزيزي فان الذي قلته لك هو الحق الصراح

هو ـ لا لا لستُ اصدق مثل هذا الكلام

هي ـ أُقسم بحياة ولدنا العزيز ان كلامي لا يحتمل التأويل

فنظر فيليب الى وجهها فرأى دلائل الصدق بادية عليه فارتعش وامتقع لونه وقال بصوت ابحّ ـ فانتِ اذاً قد خنتِني وهزأتِ بي ؟ غير اني لا ازال مرتاباً

هي ـ لا ترتب ايها العزيز .. ولا تضطرب فالحقيقة يجب ان تُقال ولو أَدمت القلوب وكسرت النفوس

هو ( وقد زاد تهيُّجاً وارتعاشاً ) ـ انا لا اضطرب .. ولكني في اشدّ الاستغراب والحيرة .. واريد فقط ان أَعلم كيف ومتى حدثت هذه الخيانة ؟

هي ـ حينما كنتَ انت رئيساً لجمعية الفعلة

هو ـ وكم استمرَّت خيانتكِ ومَن كان حبيبكِ او عشيقكِ ؟

هي ـ سبع عشرة سنة واما الحبيب الذي اتخذته تلك المدة خليلاً فهو صديقك وشريكك مورن

فانقلبت سحنة فيليب عند سماع هذا الكلام وقال بصوت يخنقه الحزن ـ مورن ؟ هذا الرجل الذي اتخذته احسن صديق وطالما ساعدته وسعيتُ لترقيته واعلاء شأنه والذي كنت اعوّل عليه في اكثر شؤوني ؟ مع هذا الرجل الخائن الغادر كنت تضحكين عليّ وتتظاهرين بامانتكِ وباهر ادبكِ ؟ ولو انه بقي حياً لكنتِ لا تزالين الى الان تحبينه وتؤثرين مجالسته وهيامه ولو كنتِ في هذه السن وفي هذه الشيبة !!

هي ـ لا تقل هكذا فقد مضى ما مضى وبُحتُ لك بسرّ حبي وغرامي فعليك ان تصفح وتسامحني

فزفر فيليب زفرة حارّة وقال ـ يا لكِ من خائنة غادرة ! فقد كنتُ اميناً لك ثملاً بحسن سجاياكِ هائماً برائع جمالك وآدابكِ واما

انت ِفبدلاً من ان تخلصي لي الود وتكرسي قلبك لحبي ملت عني الى سواي وغدرت بي هذا الغدر الوخيم فتباً لك تباً لكِ ! !

هي – لو علمتُ بان صراحتي تجرحك وتقلقك لما بحتُ لك بشيء ولكن . . .

هو – اخرسي ايتها الغبية ! ألا تعلمين ان كلامك لا يقلقني فقط بل يقطع قلبي تقطيعاً ! فانا الذي قضيت حياتي الى هذه الشيخوخة مسروراً بك سعيداً بقربكِ أرى نفسي وقد سخرتِ بي وضحكتِ عليَّ ودست بقدميك عواطفي وامانيَّ ومثلت امامي دوراً جهنمياً ! فآه منك ايتها اللعينة ! . . . ولما قال هذا سقط على الكرسي بدون حراك

فارتجفت فريدة وبادرت اليه تعالجه بالمنبهات وقد اثرت فيها حالته ثم قالت في نفسها – ماذا عملت ؟ اما كان الاجدر بي ان يبقى هذا السر في صدري ؟ ان هذه الحقيقة ثقيلة وقد تقتل الزوج ولو كان شيخاً مسناً كزوجي . نعم اني اردتُ ان اعترف لهُ بجريمتي ليسامحني ويخفف ثقلها عني لأنحدر الى حفرتي بسلام ولكن . . . لا . . لا . . يجب ان اقنعه بان ذلك كله كذب وبهتان وإلا فانني اخشى ان يموت كمداً وجزعاً . . . ولما خطر لها هذا الخاطر اطمأنت وكان زوجها قد عاد الى رشده ففتح عينيه وهو لا يزال محتبس الصوت والدموع تنهمر بغزارة من عينيه . فدنت منه وقالت

– وهل صدقت كل ما انبأتك به ؟ ان ذلك غير صحيح

فاستوى فيليب على كرسيه وقد عاوده النشاط وقال بلهفة – ماذا تريدين ان تقولي لي بهذا الكلام ؟

هي ـ اني لم اخنك قط وقد قضيت عمري بطوله امينة لك ولم يخامرني شيء مما قلتهُ الان

هو ـ ولكنكِ اقسمتِ

هي ـ لم افعل ذلك الا لانتقم منك! فقد قلتَ انك مستعد ان تسمع عني كل شيء دون ان تقلق او تضطرب مع انك كنت تغار عليَّ حتى من خطرات النسيم فماذا كانت النتيجة؟ وعلى كلٍ ارجو ان تسامحني وتنسى كلماتي الان فقد كدرتك على غير قصد مني

هو ـ ومَن يعلم اذا كنتِ تكذبين الان؟

هي ـ لا تظن بي سوءًا ياعزيزي بل ثق بكلامي واقرأ ذلك في عينيَّ فقد كنت في السابق تسبرغوري من مجرد نظرك اليَّ فلا يمكن ان يتغير ذلك فيَّ وانا في هذه الشيخوخة. وهل يخطر في بالك اني أستطيع ان احب مورن وقد كان احط منك كثيرًا بعقله وخصاله وذكائه؟ وانت تعلم اني لم اخرج لتشييع جنازته بعد موته وهذا دليل كبير على عدم ميلي اليه. والخلاصة اني كنتُ امينةً لك وقد جعلتُ حياتي كلها وقفًا على خدمتك ومحبتك

وكان فيليب يصغي اليها بكل حواسه وهو لا يرفع نظره منها. فلما فرغت ابرقت اسرتهُ وبدت على وجههِ امارات الاقتناع وقام اليها فعانقها وقال ـ اني اصدقك ياعزيزتي.. واريد ان اصدقكِ

هي ـ وارجو ان تسامحني لازعاجي اياك بمثل هذا الكلام.. وها ان وجهك لا يزال ممتقعًا وانا لا ازال ارتجف جزعًا... افلا تريد ان

تتناول شيئاً من الشراب المسكن ؟

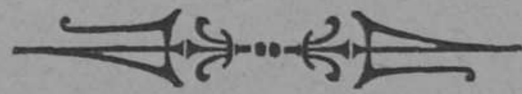
ففاضت عينا فيليب بدموع الفرح وقال ـ كلا فاني الان في حالة حسنة واشعر بان الحياة قد عادت الي كأني كنتُ معرَّضاً لاشدّ الاخطار والان نجوتُ من كل خطر

هي ـ ارى ان تنام قليلاً لترتاح

هو ـ لا لا بل ابقى بازائي واقتربي الي فاني اريد ان اراكِ واحادثك وألمسكِ

هي ـ هل نبذت هذا الفكر من راسك تماماً ؟

هو ـ نعم والان انا اضحك من نفسي لاني كنت السبب في حملك على مثل هذا الانتقام الذي احببتِ ان تداعبيني به فكاد يخطف انفاسي .. والحقيقة التي درستها الان هي ان الرجل مهما شاخ وكبر في السن لا يستطيع ان يسمع عن امرأته شيئاً من قبيل الخيانة او الحب لسواه. ثم غلب عليه النعاس والضعف فنام. ونهضت فريدة من جانبه وهي تتمتم قائلة ـ لا أستطيع ان أعترف له بخيانتي لا في هذا العالم ولا في العالم الاتي ...



## الجمال

(تابع لما قبل)

مما تقدم يتضح السبب الذي لاجله اصطلح الناس على تسمية بعض انواع الصناعة بالفنون الجميلة كالهندسة والتصوير والموسيقى والحفر

والشعر لان فيها مجالاً واسعاً لظهور مبادىء الجمال التي تقدم ذكرها. واول تلك الفنون في مراتب الجمال الموسيقى ويليها الهندسة فالتصوير فالحفر. اما الشعر فجامع بين التصوير في تخيُّل الشاعر والموسيقى في وزن الشعر. والمطلع على التاريخ يتضح لديه كيفية ارتقاء الذوق في مراتب الجمال فان امة اليونان القديمة فاقت امم الارض في صناعة الحفر وقد ابتدأوا في حفر تماثيل المنتصرين في الالعاب الاولمبية من خشب ثم صاروا يستعملون الرخام لحفر تماثيل الملوك والفلاسفة. واخيراً استعملوا الذهب لحفر تماثيل الالهة وابدعها تمثال ذيوس ابي الالهة الذي اشتهر في صنعهِ فيدياس الحفار الشهير وقد وضع مكان العينين حجرين كريمين[١]. وما زال اليونان يتفننون في تلك الصناعة حتى القرون المتوسطة حينما وجد الايطاليون ان التماثيل المحفورة للعبادة على ما فيها من جمال الصنعة عاجزة عن التلاعب بالعواطف واثارة الشعور بالخشوع والتعبد فاستبدلوه بالتصوير واخذوا يتفننون في صناعة الصور حتى قام ابرع المصورين مثل رافائيل ومخائيل انجلو وغيرهما

وان كنت لم تُعنَ باحد هذه الفنون وتود ان تسمع باذنيك وترى بعينيك مبادىء الجمال بادية لكل ذي عينين فزر في الصباح بقعة من بقاع فلسطين او جبل لبنان في فصل الربيع عندما تكون الطبيعة قد القت على الارض بساطاً سندسياً بهياً من اللون الاخضر الناصع وقامت وقعدت جبال وآكام وسهول واودية جالت فيها الحيوانات الاليفة مثل

١) ميرس ٢٩٥ و٢٩٦

الغزال والطاووس وتغنت فيها الطيور الشادية والبلابل المترنمة

والافق يبسم والطيور صوادح والنهر يرقص والغصون تصفق

ثم تشرق الشمس بالوانها الذهبية فتكسب الطبيعة حياةً وبهاء .

وتلبسها من الالوان اشكالاً وتهبُّ الريح فتملأ القلوب سعادة وهناء

فهناك الجمال تأخذه العيـ ـنُ جليًا ويأخذ المهجاتِ

قف في مثل تلك البقعة وقفة المتأمل وانظر بعد ذلك ان كنت تتمالك عن القول سبحان من خلق فابدع تبارك الخلاق العظيم . بل حاول ان استطعت ان تملك عنان فكرك عن السباحة في عالم التصور والشعور او تصدّ تيار الافكار المندفع اليك على جناح الريح المارة بتلك الوهاد والجبال الساجة على سطوح تلك المياه الحاملة من اريج تلك الازهار العطرة

ولذلك حسب الناس من اعظم البركات التي يفيضها الله على امة وجودها من الطبيعة في مركز جميل وطقس جميل لما لهما من التأثير في علوم الامة وارتقائها في المدنية وتهذيب ذوقها في الجمال . والتاريخ مشحون بالامثلة التي تؤيد ذلك . فلو لم يكن جوّ مصر صافيًا لامعًا ولو لم يكن هناك نيل يفيض كل سنة لما تأتّى للمصريين القدماء ان يكتشفوا ما اكتشفوه في علم الفلك مما ساعد اهل ذلك العلم كثيرًا . فانهم هم الذين قسموا السنة الشمسية الى ٣٦٥ يومًا واضافوا اليها يومًا في كل اربع سنوات . وقسموا السنة الى اثني عشر شهرًا والشهر الى ثلاثين يومًا . ذلك هو التقويم الذي جرى عليه يوليوس قيصر واصلحهُ البابا غريغوريوس

الثالث عشر سنة ١٥٨٢ وهو الحساب الغربي المستعمل حتى يومنا هذا . وهم الذين اكتشفوا المد والجزر لدى ملاحظتهم مياه نهر النيل والبحر الاحمر . ولما كانوا مضطرين ان يحلوا المسائل الفلكية اكتشفوا اكتشافات جمة في علم الحساب

ولم تكن اكتشافات سكان ما بين النهرين باقل من ذلك كثيراً . فانهم هم الذين قسموا القبة الزرقاء الى اثني عشر برجاً وا كتشفوا الخسوف والكسوف . وانشأوا المزاول ( الساعات الشمسية ) وغير ذلك

اما اليونانيون فحدث عن اعجابهم بالجمال وولعهم به وان شئت فقل عبادتهم لهُ ولا حرج فان ميلهم الى الصناعة الجميلة كان طبيعياً فيهم وكان لهم ذوق شديد الانفعال بالرسوم الجميلة حتى شاع عنهم القول المأثور «لأَن تُري اليوناني شكلاً قبيحًا مثلُ ضربك اياه» . وقد كان كل فرد منهم كأنه أُفرغ في قالب الجمال وكل ما صنعوه كان جميلاً بل مفرطَ الجمال من هيا كل معبوداتهم الى أحقر الادوات التي استعملوها في بيوتهم . وقد أُولعوا بالجمال الى حد انهم جعلوه بعد القداسة ولم يكادوا يفرقون بين الجمال وبين اكمل الصفات الادبية حتى عدوا من الطلاسم التي استغلق عليهم حلها والمعميات التي أشكل عليهم اجتلاؤها كيف جعل لسقراط ذلك الاعتبار وهو دميم الخلقة كريه الطلعة

ولقد كان المبدأ الاساسي عندهم في جمال الصناعة مثله في الآداب وهو « لا إفراط في شيء » ولذلك كانت احداقهم تنبو عن رؤية الضخامة في الاجزاء وابصارهم تتفادى من عدم التناسب في الاجسام . ولذلك

كانت هيا كلهم كاملة التناسب تامة الاتقان بحيث عُدَّ الخروج عن أَقيستها شططاً عن القاعدة الاساسية

ومما اوجبه الذوق اليوناني وضوح الرسم وجلاؤُهُ فكان الصانع منهم يمج كل ابهام ويكره كل غموض . وان انت قابلت بين هيكل يوناني وبين احد معابد الغوثيين في الاجيال المتوسطة اتضحت لك الحقيقة وبدا لك الفرق ظاهراً

على انه لم يفقّه اليونانيين بمبادئ الجمال هذه سوى الطبيعة التي عاشوا في احضانها . ترى الطبيعة هناك لابسة حلة الاعتدال والتناسب في كل شيء . لا تعرف افراطاً ولا تفريطا . جبالها وجزرها غير مفرطة في العلو والاتساع وليس فيها برد قارس ولا حرّ صاهر . وكأَنها تكره الابهام والغموض لان جوها الشفاف يجعل كل شيءٍ واضحاً بيناً . وما جمال معابدها الاصطناعية الا مستعاراً من جمال اشكال هضابها وآكامها الطبيعية (*)

واذا اتيتم الى القرون المتوسطة لا تتعجبوا اذا رأيتم الايطاليين واهل سويسرا ماهرين في الموسيقى والتصوير والصناعة الدقيقة . اذ ما من احد عاش تحت سماء ايطاليا او رأى انهارها الجميلة او جلس على شاطئ بحيرة جنيفا او كونستانس او ارتقى جبال الالب الا أُعجب بها وانشرح صدره وطاب خاطره وتهذب ذوقه وأُوحيت اليهِ الافكار والتصورات والخيالات الشعرية البديعة التي أُوحي بها الى شيشرون الخطيب المفوَّه وفرجيل

(*) ميرس ٢٨٣

صاحب الشعر الرقيق وغيرهما

وفي العصور المتأخرة اشتهر البعض بالاشعار القصصية والروايات البديعة . ولو امكننا ان نزور ستراتفورد اون افون[1] ( في انكلترا) ونتأمل مناظرها الطبيعية الجميلة لقلنا مع وشنطون ارفن : لا عجب اذا انشأت تلك الارض مثل الشاعر الطائر الصيت شكسبير

هذا قليل من كثير مما يبين تأثير الجمال الابتدائي في الانسان

الجمال السامي

لو لم يكن من مبادىء الجمال سوى ما رأته العين وسمعته الاذن لفقد الجمال اعظم قواه التي توءثر فينا وتجعل حياتنا هنيئة سعيدة . ولكن لحسن الحظ ليس الامر بالواقع لان هناك جمالاً لا تدركه العين ولا تصل تموجاته الى الاذن وقد صدق من سماه بالجمال السامي . والشعور به ينشأ في عالم التصور عن المغازي التي تتجمع حول الشيء الجميل . وعامل الجمال في تلك التصورات هو معرفة الخير والشر ونسبة اولهما الى الشيء الجميل

عندما تنظر الى مستشفى تجد من نفسك ارتياحاً في النظر اليه وينشأ في نفسك سرور ولذة وينادي لسان حالك ما اجمل هذا المكان حقاً انه لذو حسن بارع وجمال رائع . وجماله غير قائم بحسن بنائه واتقان هندسته ومتانة حجارته بل بذكرك انه أُقيم لراحة المرضى والعناية بهم والتخفيف من ويلات الانسانية والتلطيف من الشقاء البشري

وعندما ترى عاملاً بلباس شغله البسيط تجد من نفسك انشراحاً ليس

---

١) Stratford-on-Avon

لسبب قيمة اللباس لانه قد يمكن ان يكون رثًا باليًا بل لسبب حياة النشاط والاجتهاد والدأب والشرف التي يشير اليها ذلك اللباس الذي يكفي لابسه الحاجةَ الى ما في ايدي الناس . ولذلك يفضل اصحاب الذوق السليم لباس العمل لما فيه من دلالة الشرف على لباس الرسميات لما فيهِ من الدلالة على حياة الترف الممزوجة احيانًا كثيرة بالكبرياء وعلى حياة البطالة التي يمجها كل ذي ذوق سليم

اقول والشيء بالشيء يذكر ما اجدرنا نحن الشرقيين بان نتذكر ذلك فان العامل منا ليخجل ان يظهر امام معارفه بثوب العمل ظانًّا انه منقص من قدره مفضلاً ان يكون بلا عمل مرتديًا ثيابه الانيقة زاعمًا انها رافعة لقدره . وما ابعد هذا الزعم عن الحقيقة. وإن المرأة لتعلو وجهها حمرة الخجل اذا رآها زائروها بثياب المطبخ ولو فطنت لذكرت ان لا عار في ذلك بل الشرف كل الشرف والفخر كل الفخر لامرأة تخدم بيتها

وكم يتغنى تلامذة المدارس بمدح المدرسة عند تركهم اياها ويعزّ عليهم فراقها ويمضون وقد اودعوها قلوبهم . ولم ينشأ فيهم هذا الشعور بسبب جمال بناء المدرسة بل لما اكتسبوا فيها من الفوائد الجليلة التي رقت نفوسهم وهذبت مباداهم وشحذت قرائحهم وقوت ابدانهم فلا بدع اذا تمنوا لها ثبوت الدعائم وخلود الذكر وزيادة الارتقآء في سلم النجاح وبلوغها اسمى درجات الفلاح

وهكذا القول في الكنيسة والبيت وملاجيء الفقراء ومدارس الايتام وغيرها

ولدى اقل تأمل يظهر ان من جملة المدركات الجميلة بهذا الشعور المخلوقات الطبيعية ولو سألتها سوءالاً عاماً عن عامل الجمال فيها لأجابتك على الفور انها وان تكن مؤلفة من اعضاء عديدة تختلف هيئةً وعملاً الا انها متحدة في القصد والغاية وهي تمجيد الله وخير الانسان وتعليمه وتقول — ليس بيننا من يقول انا اهمُّ من الاخر فليس بيننا ما يسمى حسداً ولا نظهر الا ما في نفوسنا فليس بيننا ما يسمى رياء ولا عدو لنا مثل التصنع

ولو القيت سوءالاً على كل بمفرده لاجابتك الشمس انها تعطي الحياة والنور والحرارة للانسان والحيوان والنبات وتعلم الانسان انه وان لم تكن له قوة على اعطاء الحياة لغيره فربما كان واسطة في اطالة حياته والتخفيف من آلامه . وقال الهوآء انا اعطي الانسان الاكسجين قوام الحياة واعلمه ان يعيش حراً مطلقاً ومعنى الحرية عندي مخالف لما يتبادر الى اذهان اهل هذا العصر الذين يفهمون بالحرية الفوضى والأَثرة والانانية . معنى الحرية عندي ان لا اجد مانعاً يغلّ يدي عن تعميم نفعي لكل من اتى في طريقي . وقال البحر انا اصعد مائي كبخار على اجنحة اشعة اختي الشمس لكي يسقط مطراً في حينه فيروي ذوي الحياة واعلم الانسان ان يكون واسع الصدر حليماً جواداً نافعاً لغيره ما امكنه . وقالت الزهور كلها بلسان واحد اني اجمل الارض وازينها واعلم الناس ان يكونوا زينة هذا العالم وان تكون سيرتهم ذات رائحة ذكية

ترى اذن ان جمال الطبيعة جمال مزدوج لان كل ما فيها جميل في

تركيبه وهندسته ولونه وجميل ايضاً في الغاية من وجوده . وكل ما فيها واقع تحت ادراكنا يدعونا ان ننظر اليه ونسرّ به ونتعلم المثائل التي يلقيها علينا بكل اخلاص ومحبة . فإلى الطبيعة الى الطبيعة يا محبّي الجمال

الجمال الاسمى : ألا وهو جمال المبادىء الادبية التي تكسو الانسان زينة وهيبة وجلالاً وقد عرف الشاعر العربي هذا النوع من الجمال فقال

ليس الجمال لاثواب تريننا ان الجمال جمال العلم والادبِ

وهذا بالحقيقة ارقى مراتب الجمال وله مزية كبيرة على الجمال الابتدائي لان تأثيره يزداد بطول العهد وتقلب الايام في حين ان تأثير ذاك يقلّ شيئاً فشيئاً الى ان يكاد يزول بتعود النظر رؤيته وملل الانتباه من التوجه اليه . قال الشاعر

جمال حياتنا يبدو سناه باعمال التقى لا بالملابس

اذا رأيت انساناً رؤوفاً عطوفاً يبكي لبكائك ويسر لسرورك . يفرح لنجاحك ويغتم لتأخرك . واذا رآك متوجعاً جلس بجانبك يمنع الذباب عن التجمع عليك . يعزيك بكلامه ويعصب جراحك بيديه ويوفر لك جميع اسباب الراحة تشعر بطيب عنصره وجمال مبادئهِ وتسر كلما وقعت عينك عليه . ينشرح صدرك عند اقباله وتشعر بانقباض عند مغادرته ويصبح لديك موضوع جمال لا يُبارى ولو كان رداؤه خلقاً وثوب قميصه مرقوعاً ولله در من قال :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديهِ جميل

ورأس المبادئ الادبية التقوى وقد سبق سليمان الحكيم فقال «رأس الحكمة مخافة الرب» وقد قسموا سائر المبادىء الى قسمين اولهما ما يظهر في الانسان نحو غيره كالامانة والاخلاص والغيرة ومحبة الخير واللطف وذكر الجميل والمؤاساة وغيرها . وثانيهما ما يظهر في الانسان بدون نظر الى غيره كالاجتهاد والقيام بالواجب والاستقامة والصدق وغيرها

فضائل لا يسع الناظر اليها المفكر بها الا ان يقف موقف الخشوع والاجلال إكراماً لها وإعزازاً لشأنها فلا غرو اذا سميت هذه الصفات مبادىء جميلة ولابدع اذا تغنى الناس بمدحها لانها تعود بالسعادة والسرور على صاحبها وبالخير والنفع والراحة والبركة على غيره

ولا يجمل بي ان اختم هذا الموضوع الجميل دون ان ابين تأثير الجمال في اخلاق الانسان وآدابهِ

قد تقدم الكلام ان شعور الانسان بالجمال امر غريزي في اصلهِ لكنهُ اكتسابي في ارتقائهِ وتهذيبهِ . وشأن كل الغريزيات انها قد تفقد بالتغاضي عنها واهمالها . وانما تتهذب وتترقى باستعمال الانسان لها وممارسته اياها . فكل من عوَّد نفسهُ النظر الى المناظر الجميلة والسباحة في لجج المواضيع والمباحث الجميلة ارتقى فيهِ هذا الشعور وتقوى وهو يؤثر في حياتهِ كثيراً افانهُ

(١) يرفع نفسه عن الدنايا فلا يعود يميل الا الى ما هو سامٍ وشريف وجليل ولا يجالس الا ذوي المبادىء الجميلة واذا لم يتفق له ان يصادف احداً منهم في ساعات فراغه او تعبه وحاجته الى الاستئناس باحد فضل

العزلة والانفراد على مصاحبة الدنيء مخافة ان يرى منه ما لا يُرى او يسمع كلمة منه لها يندى الجبين

(٢) يملأ حياته سعادة وهناء ويبعده عن كل كدر وشقاء . ذلك ما يؤيد الفكر بان الله خلق كل ما في هذا العالم لسعادة الانسان لا لشقائه كما يتوهم البعض

اما الذين يهملون هذا الشعور فلا يلبث ان يفقد منهم فيفسد ذوقهم وتنحط مبادئهم . لذلك ترى اناساً لا يلتذون الا بالاصوات الخارجة عن الاصول التي تخدش الآذان ولا يميلون الا الى المناظر القبيحة المرهبة التي تبذأها الابصار وتقذى بها النواظر وتغض عن مرآتها الجفون وتقشعرُّ لها الابدان ولا يسرون الا بالاحاديث الخارجة عن حدود اللياقة والاداب وبئس الحالة حالتهم . وما ذلك الا لانهم فقدوا شعورهم بالجمال الحقيقي بالتغاضي والاهمال ولو عوّدوا انفسهم النظر الى ما هو جميل لوصلوا الى غير هذه الغاية

فما اجمل ان يعوّد الانسان نظره وسمعه وفكره على ما هو جميل فترتفع نفسه عن الدنايا وينشد لسان حاله قائلاً

المنايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب الخنا ركوب الجنازه

وفوق ذلك تصبح حياته في نعيم مستمرٍّ وهناء دائم . لانه في جوّ الجمال الحقيقي لا يمكن ان تعبر ريح محزنة او يطير فكر دنيء

توفيق زيبق



# بين الوردة والحياة

أما نظرتْ عيناك في الروض وردةً وقد برزت تهدي اليك سلاما؟
بدت سحراً تستقبلُ النورَ والندى كلؤلؤ دمعٍ في الخدود أقاما
ألم ترها بين الزهور نضيرةً كبدرٍ بدا بين النجوم تماما؟
تميسُ على الأملودِ شبه مليكةٍ وقد وضعت فوق النهودِ وساما
يمرُّ بها ذاك النسيم مداعباً وقد بات خفّاقَ الفؤاد غراما
يطارحها سرَّ الصبابةِ والهوى كصبٍّ على أقدامها يترامى!

* * *

بعيشك قل لي هل مررتَ بقربها مساءً وقد عاد الضياءُ ظلاما؟
ألم ترها والشمسُ تطوي حبالها وتطلق من صوبِ المغيبِ سهاما
تصادمها ريحُ الصبا كعليلةٍ تصادم هوجاءَ المنون سقاما
وقد سقطت اوراقها وتناثرت تلامسُ ماءً تارةً ورغاما . . .
وبانت عن الابصار في حلك الدجى سريعاً وأمست للفناء طعاما؟

* * *

فهذي حياة المرء — بشرٌ وكآبةٌ يصافحُ عاماً بالسرور وعاما . . .
فتلقاهُ في عهد الشبيبة باسماً يذوبُ حشاهُ رقَّةً وهياما
يصادمُ أحداث الزمان بهمَّةٍ تمزقُ أوصالاً لهنَّ وهاما
فإن لعبَ الشيبُ المخيفُ بفودهِ وأحنى له كرُّ الزمان قواما
ووافاه داعي الموت ولّى مودّعاً يرى العامَ يوماً والحياةَ مناما

حليم ابرهيم دمّوس

## القلب الظمآن

«حادثة واقعية»

كان لاندري زيكوف ابوان فاضلان متوسطا الحال دمثا اخلاقه ولقناه اشرف المبادىء وبذلا في سبيل تعليمه كل ما عز وهان فاحرز الشهادة العليا في الربيع الثاني والعشرين من عمره ثم انتظم في خدمة والي موسكو فاظهر من الاهلية والاقتدار وغزارة المعارف ما شهر اسمه في كل دوائر موسكو العلمية وجعله ثقة يرجع اليه في حل المعضلات. ونظراً لميله الفطري الى اعمال البر انتدبته الجمعية الخيرية للسيدات كاتباً لها. فقام باعباء وظيفته خير قيام وحاز ثقة سائر الاعضاء لما آنسن فيه من الاخلاص في الخدمة والاهتمام بالمحاويج. وكانت رئيسة الجمعية آنئذٍ اميرة عريقة في الحسب والشرف الاثيل اسمها فيرا وكان جمالها الطبيعي لا يزال بهياً نضراً يتألق نوراً حتى ليخال الناظر ان الاميرة لم تبلغ الثلاثين مع انها قد تجاوزت الاربعين. ولما كانت على جانب عظيم من الرقة وحسن الطوية والرفق بالبائسين انصرفت الى خدمة الجمعية باخلاص لا ترجو من وراء عملها سوى تخفيف ويلات من عضهم الفقر بنابه والاجر والثواب من الله. ورأت ما يبذله اندري من الغيرة والنشاط فقدرته حق قدره واظهرت له من الملاطفة والبشاشة ماجعله يزداد تفانياً في خدمتها واعجاباً برقة عواطفها وافتتاناً بجمالها. وكان يكاتبها احياناً في شؤون الجمعية فتجيبه على رسائله وهي لا تعلم ان عاطفة قوية تنمو فيه بالرغم عنه وانه من يوم الى يوم يزداد تعلقاً بها وحباً لها. وما مضى على خدمته الا القليل حتى اضنت جسمه تلك العواطف الخفية وحرمته لذة النوم. فذوت نضرته وبات منهوك الجسم ضعيفه وهو لا يجسر ان يبوح بما في نفسه. ثم اثبطه المرض فاعيا الاطباء ولم ينجع فيه دواء. ولما كان فوق طاقته تسكين عواطفه نحو هذه الاميرة الحسناء وقد رأى ما اورثه الحب من العناء استولى عليه الياس وكاد قلبه يتمزق حسرة وأسى. وزاده اضطراباً شعوره ان من كان نظيره عليلاً نحيلاً فاقد القوى لا نصيب له من الحب والاستيلاء

على قلب المرأة. غير انه كان في بعض الاحيان يهبُّ فجأَةً فتثور عواطفه احتجاجاً على ذلك الشعور ويخاطب نفسه قائلاً: ولمَ خصتني الطبيعة اذاً بهذا القلب الحساس. الا يوجد في عالم الوجود غير الحب الذي يعرفه الادنياء.. اني اشعر بعاطفة تفوق ذاك الحب قوة وتاثيراً تضطرب منها كل جارحة من جوارحي وتشعر بقوة نارها الآكلة. نعم اني فقدت قواي الجسدية لكني اتلوع واغار واشعر ان لا طاقة لي على الحياة بعيداً عن هذه المراة. اوهم هذا وكل نبضة فيَّ تردد صوت حبي العذري!

ولما لم يجد ما يخفف به لوعته ويفرج كربته ويشفي سقمه انصرف الى الصلوات في دير دونسكوي. فشعر بلذة لا توصف وراء جدرانه بعيداً عن كل التجارب الدنيوية وخيّل اليه مراراً عديدة ان نعمة الهية تهبط عليه بين امواج البخور المتصاعد وانغام الاناشيد الروحية الشجية فتسكن نفسه المضطربة وتضمد جرح قلبه الكسير. وحدثته نفسه ان ينقطع عن العالم المملوء بالتجارب وياوي الى هذا الملجا الامين فاطلع رئيس الدير على ما في نفسه فرفضه ليختبره ويتاكد ميله الى العيشة النسكية

وحدث بعد مرور عامين ان الاميرة فيرا خلت مرة بنفسها فدخل الخادم واعلنها قدوم كاتب الجمعية. وبعد هنيهة دخل اندري وكان مربوع القامة نحيفها اصفر الوجه جميله فاتر اللحظ مرتدياً ثوباً نظيفاً. فرحبت الاميرة به ومدت له يدها. فتناولها ورسم عليها قبلة حارة بمزيد الاحترام. وبعد ان اجلسته بجانبها اخرج من حقيبته بعض اوراق وقدمها لها فتناولتها وبعد تلاوتها وقعت عليها بطابعها. ثم اودعها الحقيبة وتنهد طويلاً وهو شاخص الى الاميرة ببصره. فنظرت الى وجهه النحيف وبدنه الرقيق وقالت له بانعطاف — علامَ لا تبالي بصحتك يا اندري وما بال والدتك غاضة النظر عنك. فقال — اصبحت وقراً على امي وعلى نفسي ايتها الاميرة فقد سئمت نفسي الحياة وبلغت درجة من الياس لا فائدة لي معها من العقاقير الطبية. فصممت النية على الانقطاع عن عالم لا نصيب لي فيه والابتعاد الى دير دونسكوي عساه يخفف الامي ويبرئ اسقامي

ولم تكن الاميرة تتوقع لاندري هذا المستقبل . فعرتها الدهشة ورقت لحاله وقالت — اتكون في مقتبل العمر وامامك مستقبل باهر وتفكر من الان بالاحتجاب في الدير . اصحيح ما تقول او انت مازح . فاكد لها اندري ان ما عوَّل عليه حقيقة لا ريب فيها . ثم اردف قائلاً — وماذا ارجو من العالم ؟ اني في حالة من المرض لا اتمكن معها من التمتع بمسرات الحياة . فعسى ان اجد راحة لنفسي وراء جدران الدير فاصرف ما بقي من العمر في التاملات الروحية . فاطرقت الاميرة قليلاً وبدت في عينيها ملامح الانكسار والحنان اذ تصورت ان الدير سيختطف هذا الشاب الجميل بعد ان الفته وكانت تلتذ بحديثه . ثم رفعت اليه بصرها وقالت — لا اجسر ان احولك عن عزمك وانما انصح لك الا تتسرع في الامر . فكر فيما عولت عليه . انت في مقتبل العمر وفي مثل هذه السن لا محل لليأس من الشفاء . فرفع اليها بصراً فيه معنى جعل الاميرة تشعر باضطراب في نفسها وقال — ان بلواي في غير اسقامي واوجاعي . . . كفى ايتها الاميرة . اني اشعر ان لا محل في الكون لي فلا تستطلعي السبب . اني اشكر خاشعاً ما ابديتهِ نحوي من الانسانية وكرم الاخلاق وهذا ما يملأ قلبي حين اغادر هذ العالم وارتدي ثوباً يحاكي بلونه ظلام نفسي التعسة . قال ذلك وصوب الى الاميرة نظراً لمع فيه نور جعل الاميرة تضطرب ثانية لكنها صرفت ذهنها عما تراءى لها وقالت بتحمس — ما اجمل دير دونسكوي . وما الطف تلك الانغام الشجية فيه . ان لي برئيسه معرفة خصوصية وساوصيه بك خيراً . ثم تنهدت وسالته — ومتى اراك يا موسيو اندري ؟ فقال — في هذا الاسبوع وبلباس المتوحدين . ثم صافحها بيد مرتعشة ملتهبة وخرج قاصداً دير دونسكوي

بعد مضي اسبوع كان اندري في حجرة الاميرة فيرا وقد زاده ثوب الرهبنة هيبة وجمالاً . فرحبت به الاميرة واجلسته الى يمينها واخذت تساله عن حياته في الدير فقص لها ما حضره من تاثيراته الجديدة . ثم ساقها الحديث الى ذكرى حياتها الماضية فروت له شيئاً عن تربيتها وهي طفلة صغيرة وعن زفافها الى الامير وحبها العظيم له وطاعتها دوماً لارادته . وكان اندري شاخصاً اليها لا يحول بصره الملتهب

عنها. فلما انتهت من حديثها قال — امن العدل ان تنقضي الحياة في الانقياد لارادة الاخرين وتذبل زهرة الشباب الغضة في السعي المتواصل لارضائهم دون ان تمس القلب شعلة الحب ؟ فاستغربت الاميرة منه هذا الكلام وقالت — اني احب زوجي وابني . اتكون المحبة في غير القلب ؟ فكيف تقول ان قلبي لم تمسه شعلة الحب ؟ فقال وفي صوته رنة اسف — امثل هذه المحبة يزهر قلب الحسناء ايتها الاميرة ؟

فبغتت الاميرة لهذا الكلام الذي لم تكن تتوقعه من متوحد كرَّس حياته لله بعد ان انكر العالم وما في العالم. وبدت منها حركة شفت عن عدم رضاها وقالت له ـ دع عنك الخوض في مثل هذه المواضيع التافهة . قد اخترت لنفسك الابتعاد عن العالم فجدير بك ان تنزع من نفسك كل الافكار العالمية وتثابر على تقوى الله فتحفظك عنايته . فبدا الحزن في وجهه ثم تنهد وقال ـ اني لهذه الغاية قد تركت العالم ولجات الى الله آملاً ان يرشد نفسي ويقودها الى الحقيقة فلا تطلبي مني ما فوق طاقتي

فصعد الدم الى وجهها وشعرت ان في كلامه شيئاً خفياً وان في ابتعاده عن العالم جهاداً عظيماً . فخفق فوادها لكنها ما لبثت ان طردت عنها هذه الافكار وقالت ـ لا ادري ما تعني بكلامك . . . انصح لك ان تصلي الى الله فيعضدك على طرد الافكار الدنيوية . ينبغي ان تكون قديساً في حياتك الجديدة . فصاح اندري ـ ان انا الا خاطئ يا اميرة . ولكن بربك . . لم اعطتنا الطبيعة مخيّلة تنطبع فيها المرئيات وقلباً حساساً ودماً يغلي ولم جعلت فينا سبيلاً الى كل العواطف الدنيوية . لم يا اميرتي . قال ذلك بصوت متقطع ثم مال اليها وتناول يدها وطبع عليها قبلة حارة فشعرت بحرارة شفتيه وسحبت يدها بسرعة وقالت ـ أُعطينا ذلك لاجل الجهاد الذي يرقينا الى اعلى درجات الكمال . قال ـ هذا وهمٌ تلقنته منذ الصغر واذا صح ما تقولين فلم لم تتركي العالم وتلجاي الى ميدان الجهاد في احد الاديرة . لم فضلتِ البقاء في العالم معرّضة لخطر الانحدار امام التجارب العالمية واحتفظتِ بحرية قلبك . الا تخشين ان يستيقظ يوماً ويطالبك بحقوقه . فبدا الخوف في وجه الاميرة وانقبض

صدرها ولم تدرِ ما حل بهذا الشاب الذي يكلمها بلسان جديد وصوت يرتجف وفي عينيه لمعان يخرق احشاءها . فاسندت ظهرها الى الكرسي وقالت ـ تتفوه بامور غريبة لا ادري ما تعني بها . تهددني بقلبي كما لو كنت ابنة ست عشرة سنة . الا فضل ان تعود الى الدير وتنقطع الى الصلاة وتطرد عنك الافكار الشريرة . ثم نهضت فوقف وودعها باحترام حاملاً قلباً متيماً يكاد يخرج من صدره

كرت ايام انصرف اندري فيها الى الصلوات والتاملات الروحية راجياً تخفيف بلواه . وراقت له العيشة في الدير غير ان تشاغلهُ بالازهار وانكبابه على تاليف تاريخ مطول لدير دونسكوي ووقوفه ساعات متوالية على الصلاة لم تحجب عن مخيلته طيفاً كان يرافقه في حركاته وسكناته بين الازهار وعلى منضدة الشغل وبين امواج الانغام السماوية في الكنيسة . ذلك خيال الاميرة فيرا حبيبته ومالكة فواده . فكان يناجيه مسترسلاً في عالم الخيال فتتسارع دقات قلبه ويحس بسعادة لم يشعر بمثلها من قبل فيخفق فواده طرباً ويتدفق السرور من وجهه . ثم لا يلبث ان يعود فيرى نفسه طريداً شريداً لا قلب يجاوب نبضات قلبه ولا نفس ترق لنفسه المتالمة . فيتاوه ويزفر زفرات يكاد ينشق لها قلبه وينقبض صدره ويمزق الحزن احشاءه

وكانت الاميرة فيرا تتردد الى دير دونسكوي شان غيرها من السيدات اللواتي يتعشقن الترتيل الكنائسي الشجي . فدعاها اندري مرة الى حجرتهِ لمناولة الشاي ولم يكن ذلك محظوراً في قوانين الدير فجلسا معاً وتطارحا اطراف الحديث . وفي اثناء ذلك فتح اندري النافذة فارسلت الاميرة بصرها الى ما وراءها فوقع نظرها على ازهار تشرح الصدر وتزيل الغم بروائحها العطرية . وكانت الشمس اذ ذاك مرسلة اشعتها عليها فصرخت الاميرة بلهفة — ما اجمل الطبيعة وابهى هذا المنظر يا اندري وما احلى السلام الذي تتمتع به النفس في هذا المسكن الهادئ . وما اعظم الفرق بين سكينة هذه الربوع السموية واباطيل العالم التي تكتنفنا . فشخص اليها اندري ببصر ملوءه الحزن والانكسار وقال ـ ولكن ... هل يستطيع الانسان ايتها الاميرة ان يترك تلك الاباطيل الجذابة ويقطع جميع علائق الحياة التي انما خُلقنا لنتمتع بها ..

قال ذلك وشعر ان حب هذه الحسناء الذي برّح بفواده لايزال يملأ قلبه ويسري في عروقه وادرك ان جهاد الحياة النسكية لم يطفئ النار المستعرة فيه. فمال الى الاميرة وجعل يلثم يديها والدموع تتساقط من ماقيه وجسمه ينتقض كمن اصابته حمى وقال لها متوسلاً كسائل يستعطي لبائس يموت جوعاً — اميرتي . . ضمن هذه الجدران الثخينة اشعر بوحشة ضاق لها صدري ولم تقوَ على احتمالها نفسي. منةً التمس منكِ فجودي ولا تضني بها عليَّ. اسمحي لي ان ازورك واجلو صدأ نفسي. هذه الدقائق التي قضيتها معي قد انطبعت على صفحات قلبي فلا يمحى اثرها مدى الحياة

فلم ترَ في قبول رجائه ضرراً وقالت — اكون مسرورة بمشاهدتك فلا باس من زيارتك لي اذا كنت لا تخشى على جهادك الروحي من عقبة تزيده وعورة وتجعله وقراً ثقيلاً . . فقال لها بصوت مرتجف ونفس حار — اشكر حنانكِ . . . لا تخشي علي . . . ان ما بقي لي من الحياة هو دون القليل . . فقالت : دع عنك هذه الافكار المقلقة وتعال الي في احد الايام المقبلة فلا ارى مانعاً من قضاء بعض الوقت معك في الحديث والتسلية

وفي الغد زارها اندري في منزلها ثم توسع في فهم معنى اجازة الاميرة له بالترداد اليها وجعل يزورها مرة او اكثر في الاسبوع. ثم شعر انه لا يطيق الصبر عنها نهاراً واحداً حتى راب رئيس الدير سلوكه وتنازعته الظنون. فاثبت له اندري ان زياراته هي دائماً وابداً الى امه واسقف المدينة وبعض الاميرات اعضاء جمعية الفقراء. فسكن بلباله ونفى من نفسه كل الشكوك. ولم يتكلم اندري بغير الصدق لانه في الواقع كان يزور المذكورين غير ان الاميرة فيرا كانت كعبة انظاره ومرمى ابصاره وكان يشعر بسعادة عظيمة كلما راى حنانها وشعورها اللطيف يزداد نحوه. وحقاً انها كانت ترحب به وتوانسه مدفوعة الى ذلك برقة اخلاقها وما كان يبدو منه بالرغم عنه من ظواهر الحب نحوها واهتمامه المتواصل باهل الفاقة

ولم تخفَ هذه الزيارات المتواصلة على قرين الاميرة ومعارفها واصدقائها. ولما كان

الامير سليم الطوية عارفاً اخلاق عقيلته لم يرَ ما يوجب الحذر من ترداد اندري الى بيته وسهره الليل كله بجانب عقيلته بل كان ينظر اليه كالى احدافراد العائلة. غير ان معارف الاميرة وغيرهم كانوا ينظرون الى الشاب بغير اعين الامير وكثر تقولهم عن ولعها بالمتوحد الجميل. فتناقلته الالسنة وعلقت عليه تفاصيل كثيرة. وظلت هذه الاشاعات غير مصدَّقة تماماً حتى زار اندري الاميرة في مصيفها واقام عندها بضعة ايام فانتفى الريب وتاكد الجميع ان روابط خفية تجمع بينهما وان في الامر لسرّاً

(تتمتها في الجزء القادم) انطون بلاّن



## جُهينة وَحذَام

تسائلُ عن أخيها كلَّ ركبٍ وعند جهينةَ الخبرُ اليقينُ

اذا قالت حذامِ فصدقوها فان القولَ ما قالت حَذامِ

(فتحنا هذا الباب لانتقاد ما يتعلق بالرجال على لسان جهينة وما يختص بالنساء على لسان حذام. فعسى ان نقوم بخدمة نافعة يرتاح اليها القراء)

— ما اخبارُكَ اليوم يا جهينة ؟

— لديَّ شتى الاخبار فباي خصوص تريدين ؟

— هات ما عندك مما يتعلق بمدارسنا الوطنية

— لقد ضربتِ على وتر محزن النغم. وأي حزن أعظم من ان نرى ناشئتنا يربون على حب كل ما هو اجنبي. فمدارس اليسوعيين وغيرها من المدارس الافرنسية تعلم العلوم بالفرنساوية ومدارس الاميركان تعلمها

بالانكليزية وغيرها بغيرها فانتشر في بلادنا كل لغة ما عدا العربية . فترى الشابَّ من شباننا لا يحسن التعبير عن أفكاره بلغة بلاده فبمَ عساه ان يفيدها وهو غريب عنها في اللغة والافكار والاميال والوطنية؟ لان من درس علومهُ بلغة قوم صار يفتكر بافكارهم ويميل ميلهم فيغلب عليهِ ان ينزع الى وطنيتهم ويستهجن الشيء الكثير مما في بلاده ولو كان عادات حسنة ربي عليها. ولذلك تجد معظم قومنا السوريين اجانب كلَّ اجانب. اجانب في لغتهم اجانب في افكارهم اجانب في وطنيتهم اجانب في مأكولهم وملبوسهم وأدواتهم وسائر ما عندهم وليس لهم من الوطنية غير اسمها

— ولكن البركة بمدارسنا الوطنية يا جهينة فانها ستحيي ولا شك معالم الوطنية واللغة العربية لانها لهذه الغاية وُجدت

— لقد زرتُ هذه المدارس واحدةً واحدةً وكنت أوءمل ان اراها بعد الدستور على غير ما كانت عليهِ سابقاً فاذا بها كما عهدتها لان جميعها مقلّدة لا وطنية بالمعنى الذي نفهمهُ من هذه الكلمة والا فما بالها تعطي المكان الاول للغات الاجنبية؟ اما اذا اراد القائمون بهذه المدارس الخدمة الحقيقية فعليهم ان يبادروا الى تغيير خطتهم والرجوع الى تعزيز اللغة العربية القومية ليجعلوا لمدارسهم ميزةً وطنية تُعرف بها خصوصاً اذا اعتنت هذه المدارس باخلاق التلامذة وأعدَّتهم ليكونوا رجال المستقبل لا عيالاً على المجتمع الانساني كما هم او كما هو معظمهم الان اذ يخرجون من المدارس بايدٍ تستنكف من العمل ومخيَّلة مملوءَة بالصور الاجنبية ...

– وانتِ ما وراءكِ يا حذام ؟ – ورائي معظم مدارس البنات عندنا ويا ليتها كانت امامي فأفتخر بها – ماذا تعنين بذلك ؟

– أعني ان مدارس البنات عندنا قلما تعتني بإعداد الطالبة إعداداً صحيحاً يمكنها من القيام بمهنتها المقبلة . فالمدارس الطبية تعدُّ تلامذتها ليكونوا اطبآء ماهرين والمدارس الهندسية تخرّج طلبتها في فن الهندسة الذي ينوون ان يكونوا فيهِ اختصاصيين وله منقطعين . اما مدارسنا للبنات فانها لا تراعي مهنة البنت المقبلة فتعدّها لها . وشاهدي على ذلك المئات من بناتنا اللواتي يخرجنَ من المدرسة قاصرات في المعرفة مقصرات عن ادراكِ ما يتطلّبهُ منهنَّ مركزهنَّ في الهيئة الاجتماعية . فالمرأة مربية النسل ومهذبة الاولاد وبيتها مغرس رجال المستقبل ونسائهِ . فكيف يمكنها ان تعدَّ لنا رجالاً ينهضون بالوطن وهي لم تتلقَّ هذا الفن في المدرسة ؟ ولو ان مدارس البنات السورية صرفت منذ زمن عناية خاصة لتدريس فنّ الاقتصاد المنزلي وتعليم البنات كيف يعتنينَ ببيوتهنّ وكيف يربينَ اولادهنّ لكان لدينا الان عدد وافر من هؤلاء الطبيبات – أعني بهنّ طبيبات الهيئة الاجتماعية . امّا والتعليم قاصر على اللغات والبيانو والاشغال اليدوية ومبادئ بعض العلوم الكماليّة التي تنساها الطالبات حالما يبتعدنَ عن باب المدرسة فسوف لا تقوم لنا قائمة ولو بلغ شباننا اوج الرقي في العلوم العصرية . – اراكِ يا حذام تبالغين في الكلام فما كل مدارسنا كما ذكرتِ ولا كل بناتنا كما صوّرتِ

– قد يكون ذلك . ولكني أزيدكِ علماً ان بعض المدارس الاجنبية

كثيراً ما تضرّ ببناتنا بدلاً من ان تنفعهنّ . واذا كنتَ في ريب من ذلك فاستقص حالة المتخرّجات في معظم المدارس الاجنبية ترهنّ متفرنجات متأنقات متبرّجات في الظاهر مائلات اما الى التبذّل وهو مضادّ لما خلقنَ له واما الى التفوّق ولكن في ترك الجدّ النافع والتمسك بقشور الهيئة الاجتماعية . وهل في متخرجات هذه المدارس من تعلم حق العلم كيف تسوس زوجها واولادها وبيتها وخدمها ونفسها بمقتضى اصولٍ تلقتها في المدرسة ؟ تخرج التلميذة من المدرسة وبنفسها كُرهٌ للمطبخ وادواتهِ خوفَ ان تلطخ يديها الغضتين باقذاره . وتصير تنظر الى والديها نظر الاستخفاف والى الحياة نظر الجاهلة معناها . أفمن مثل هؤلاء نرجي النهوض بالبلاد وهنّ قاعدات مقعدات

— اذاً ما الدوآء لهذا الدآء ؟

— الدوآء الشافي انشآء مدارس وطنية تكون غايتها الاولى اعداد بنات تعلمهنّ القواعد التي يقوم عليها بنآء العمران وتدربهنّ على ادارة المنزل وتربية الرجال في مدرسة البيت قبل مدرسة العالم . اما الاجانب فلا يهمهم ما يهمنا وليس لنا ان نطالبهم بغرس المبادئ الوطنية القومية في عقول ابنائنا وبناتنا لان غايتهم لا توجب عليهم ذلك فمن حكومتنا ومن افاضل قومنا يطلب اصلاح هذا الخلل وسدّ هذا النقص . واذا سألتني زيادة الاسهاب وبيان الخطة المثلى الموصلة لذلك فاني لا أبخل عليك بنتيجة اختباري — سأرى ما يقولهُ القرآء وما يطلبونه . فإذا سألوني شيئاً سألتك بيانهُ غداً وان غداً لناظره قريب . فالى الملتقى (خ . س .)

# اول نيسان

اعتاد الناس في اكثر الاقطار الاوروبية وبعض البلدان الشرقية استباحة الكذب والهزل في اول نيسان وهي عادة قديمة جداً اختلف الرواة في اصلها وتاريخها على اقوال شتى

فقد قرانا في بعض المجلات الافرنجية ان الدوق فيليب بورغوند كان من محبي المزاح والهزل وكان في جملة بطانته مهرّج مشهور اسمه كيلينغ اشتهر بحذقهِ وسرعة خاطره . وكان الدوق لا يمر به اليوم الاول من نيسان من كل سنة الاَّ وله فيه حوادث مجونية ذات بال . ففي ٣١ اذار من سنة ١٤٦٦ بينا كان الدوق فيليب جالساً الى مائدة الطعام التفت الى المهرج كيلينغ المذكور وقال له — لا تنسَ ان غداً اول نيسان واريد ان امثل لك هزالة لا تستطيع ان تتصوَّرها

فاجابه المهرج — حسن فاستعد انت ايضاً يا سيدي ان اباغتك بما يفوق هُزالتك

فقهقه الدوق ضاحكاً وقال — اني واثق بالانتصار عليك وغداً ترى

قال — فهل تريد اذاً ان نتراهن ؟

قال — لا أَحبّ اليَّ من ذلك فاذا غلبتني تأخذ ملء قبعتك ذهباً واذا غلبتك افصل راسك عن جثتك . فهل يرضيك هذا الرهان ؟

قال — انه ليرضيني ويطربني لانك لن تستطيع ان تفصل راسي عن بدني وسأُزين هذا الرأس غداً باكبر قبعة عندي فهيِّئ لها ذهباً كثيراً

وجلس الاثنان بعد ذلك يشربان ويطربان وقد شرب المهرج كثيراً حتى لم يعد يعي على نفسه وسقط عن الكرسي الى الارض فبادر اليه بعض الخدم ونقلوه الى بيته. وفي صباح اليوم التالي جاءه نفرٌ من الجنود بسلاحهم الكامل وسحبوه الى ردهة العقاب وهي ردهة كبيرة مجللة جدرانها بمطارف السواد جلس فيها الدوق فيليب الى مائدة مغطاة بغطآء اسود والى جانبه جلس بعض مستشاريه وفي وسط الردهة نُصبت مشنقة وقف بازائها الجلاد وبيده سيف مصلت. فلما دخل المهرج مخفوراً بالجند الى هذه الردهة ابتدره الدوق قائلاً — انك قد غُلبت ايها المهرج فاستعد للموت. ثم اشار بيده الى الجلاّد فقاد المهرج الى المشنقة ووضعها في عنقه ثم ضرب عنقه لا بالسيف الذي كان بيده بل بقطعة مستطيلة من المصارين المحشوة دماً حاراً فانفجرت وشخب الدم على وجه المهرج وراسه

فصاح الدوق وهو يقهقه ضاحكاً — اهنئك باول نيسان ايها الصديق

وكان الحضور قد علموا بمراد الدوق فضحكوا حتى استلقوا. ثم دنا الجلاَّد من المهرج يريد ان يخرج عنقه من حبل المشنقة فهوى المهرج بجسمه الى الارض جثة هامدة. فصاح الجلاَّد قائلاً للدوق — انه قد مات من الخوف يا مولاي

فذعر فيليب ووثب من مكانه وقد ندم على عمله وجثا بازاء المهرج وقبله وهو يبكي بدموع سخينة. وفي هذه اللحظة وثب المهرج قائماً على رجليه وطفر يدور في الغرفة وقد امسك بيده قبعة كبيرة انيطت باطرافها اجراس صغيرة وهو يضحك ويقول باعلى صوته: اهنئك

يامولاي باول نيسان! تفضل الان واملأ لي هذه القبعة ذهبًا فقد انتصرت عليك انتصارًا باهرًا وربحت الرهان ...

* * *

وقرأنا في الضيآء نادرة اخرى من هذا النوع نقلتها هذه المجلة من أحدى التعاليق عن كتاب قديم طُبع سنة ١٦٨٦ ومحصلها ان اكليريكيًا يقال له الاب دسان مرتين كان في مدينة قاين من نرمنديا في اواخر القرن السابع عشر وكان من الصلاّح وله مؤلفات غريبة منها كتاب طبعه ونشره موضوعه كيف يداري الانسان صحته بعد سن المئة . ولما كان من ذوي الضمائر السليمة تواطأ بعض معارفه على ان يأتوه ويقنعوه ان هذا الكتاب قد انتهى الى ملك سيام وانه لما وقف عليه اكبر امره وأُعجب بما فيه من الاكتشاف الغريب وعزم على ان يوجه بعثًا من بطانته الى المؤلف يبلغه بانه يودّ ان يجعله طبيبه الخاص وينعم عليه برتبة وزير . واتفق في تلك الايام ان وفد على فرنسا سفرآء من قِبل ملك سيام كثر لهج الناس بهم ووقع خبرهم الى الاب فكان داعيةً لتصديقه ما رُوي له من النبأ المتقدم وحينئذٍ جدّ اصحابهُ في تتمة تمثيل ذلك الفصل فتزيّوا له بزيّ اولئك السفرآء وجآءوه وفي ايديهم الاوراق الرسمية من ملكهم الى ملك فرنسا يعرض عليهِ رغبته في جعل الاب من وزرآئهِ وجواب ملك فرنسا عليها حتى اقتنع بصحة الامر وانقاد لهم في كل ما دبروه . وعملوا له احتفالاً خارقًا تم على مشهد المدينة كلها ودخل فيهِ اعظم الكبرآء وارباب الخطط. قالوا وبقي الاب بعد ذلك مدة سنتين يعتقد

نفسهُ وزيراً من وزراء ملك سيام ولم يتمكن من ازالة هذا الاعتقاد من نفسهِ الاَّ بعد مراجعة وعناء . ومن غريب ما يروى في هذه القصة ان لويس الرابع عشر نفسهُ كان ممثلاً لاحد اولئك السفراء

وكان هذا الاحتفال في اول شهر ابريل (نيسان) فاتُّخذ مذ ذاك سُنَّةً وانتشرت هذه العادة في غالب ممالك اوروبا ولا سيما في انكلترا وانتهت الى بعض آفاق الشرق الا انها لم تفشُ فيهِ فشوها في الغرب ولعل ذلك «لان سبب عدم امتياز الكذب عندنا في هذا النهار هو ان كل ايام سنتنا شبيهة باول ابريل (نيسان) . . . »

* * *

وقرأنا في «الحارس» الصادر في اول نيسان من هذه السنة ما يأتي : اول نيسان يدعى عندنا يوم الكذب . وعند الفرنسويين يوم السمك . وعند الانكليز والاميركيين يوم المجاذيب . . غير ان يوم المجاذيب عند الافرنج هو تذكار لمولد بضعة من اعاظم الرجال . مثال ذلك ان وليم هارفي العالِم الانكليزي الذي اكتشف دوران الدم مولودهُ سنة ١٥٨٧ في اول نيسان . وبسمرك السياسي الالماني الشهير لم يكن مجذوباً ومع ذلك هو مولود سنة ١٨١٥ في يوم المجاذيب

والانسان بالطبع لا يستطيع تعيين يوم ميلاده . فاذا كان هارفي وبسمرك قد ولدا في يوم الكذب لا يكون الحق في ذلك عليهما . لكنما الانسان قادر على تعيين ميعاد زيجته . فنابوليون الاول كان يعلم بشهرة اول نيسان ومع ذلك عيَّنهُ ميعاداً لاكليلهِ على الاميرة ماري لويز

النمساوية سنة ١٨١٠ . ومن غرائب الاتفاق انه بعد اربع سنوات تماماً (في ٣١ آذار) دخلت العساكر المتحدة باريس عقيب انكسار نابوليون في معركة لبسيك التي دُعيت معركة الامم

والفرنسويون عينوا اول نيسان لافتتاح اول معرض عام اقاموه في باريس سنة ١٨٦٧

وكان بطرس الاكبر قيصر روسيا اشدّ الملوك ميلاً الى «كذبة نيسان» ولم يكن الروسيون يستعملونها وقتئذٍ فأدخل عليهم هذه العادة بصفة اضطرارية تقريباً . ذلك انه في عام ١٧١٩ امر بانشاء قبة عالية من خشب السنديان والقش وطلاها قبيل يوم الكذب بالزفت والشمع وذلك على مقربة من قصره انما في مكان اعزل لايخشى منه ان يتطاير شرر النار الى المساكن . ولما كان صباح اول نيسان اشعل النار فاندلعت السنتها كالسهام الهائلة في الجو وبلغ دخانها الكثيف عنان السماء حتى توهم البعيد عن القصر ان القصر شاعل وظن البعيد عن المدينة ان المدينة تحترق . فهرول الجموع من كل فجٍ وصوب يستفسرون الحقيقة فكان الجنود في الجهات الاربع يصدُّون الناس عن الاقتراب قائلين : ارجعوا يامجاذيب فاليوم اول نيسان

## حلم في عالم المدنية

أرخى الليل سدوله وهبَّ النسيم البليل فالتجأت الطيور الى اعشاشها

والناس الى بيوتهم وبطلت الحركة العمومية ونابت الكهرباء عن الشمس ولم يبقَ من عمل او حركة الا في الاندية والحانات .. في تلك الساعة كان نهر السين يتباهى عجباً ويموج سروراً بما صارت اليه حالة المدينة — مدينة باريس — ام المدنية ام الحرية المنتشرة على ضفتيه

كانت اسرة متوسطة الحال تسكن بيتاً على ضفة النهر. وقد جلس الوالدان بعد العشاء ومن حولهم اولادهم يتحادثون في شؤون شتى فسأل احد الاولاد (واسمه فيليب) اباه قائلاً — اني اراك ياوالدي لست كباقي الناس فانت تنام باكراً وتنهض باكراً ولا تعرف لذة الحياة الا بالعمل وليس لك سمير الا والدتنا ونحن بعكس باقي سكان باريس الذين يتمتعون باطايب الحياة وجميع اسباب اللهو والسرور. فاجابه الاب — اجل ياولدي فاني لا اريد ان أتمتع بهذه الملاهي الفاسدة لان حضارة اليوم أمست حضارة تهتك وخلاعة ودمار وقد فسدت الآداب وانتشرت الرذيلة في كل مكان فرأيت ان العزلة عن الناس آمن لي ولاسرتي وأصلح شأناً .. وبعد ان قضوا ساعةً في مثل هذه الاحاديث قاموا ورقد كلٌّ في سريره

... ورأى فيليب في نومه حلماً. رأى انه انتبه من نومه فنهض وارتدى ثيابه وخرج لترويح نفسه في الخلاء وماسار الا قليلاً حتى ابصر حمامةً بيضاء كانت تطير بالقرب منه فأسرع لامساكها فطرحت له الى الارض رقعةً وطارت عنه فالتقط الفتى الرقعة واجال نظره فيها فقرأ ما يأتي: ياابن باريس مدينة سدوم القرن العشرين! انت لا تعرف الان الشر ولكنك اذا انطلقت في هذه الساعة الى داخل المدينة ترى ماهي هذه المدنية الحاضرة

وما كاد فيليب يتمُّ قراءة هذه الرقعة حتى شعر بان له جناحين يستطيع ان يطير بهما الى حيث شآء فطار فوق شوارع المدينة فسمع صوتاً رخيماً استوقفه فنزل ليرى صاحبه فرأى امامه فتاةً رائعة الحسن بقوام كالغصن وبياض كالياسمين وقد حملت على ذراعها طفلةً صغيرةً كانت تنظر اليها وتذرف الدمع السخين وتندب حظها بصوت يذيب الجماد . فبهت فيليب ووقف حائراً وهو لا يدري أهذه الفتاة من الملائكة ام من البشر . ثم لم يتمالك ان دنا منها وسألها عن سبب بكائها فتنهدت وقالت — اني فتاة شقية وزوجة مهجورة وقد كنت قبل ذلك سعيدة في بيت والدي بين ازهاري واطياري الى ان تعرفت بشاب جميل كان يتردَّد علينا فأحببته وأحبني وتمكنت الالفة فيما بيننا وكان يظهر لي المودة والشغف الى ان زففتُ اليهِ بحفلة شائقة وقضيت واياه بضعة اشهر كلها هنآء وسعادة ولم يدُر في خلدي ان الشقآء واقف لي بالمرصاد. وذلك ان زوجي لم يلبث بعد مدة قصيرة ان هام بحب غانية استمالت فؤاده وملكت قياده وصار يقضي عندها اكثر ايامه ولياليه مُعرضًا عني وانا لا أدري بأمره الى ان اطلعت اخيراً على سره أوكدت أقضي حسرة والتياعاً اما هو فبدلاً من ان يهجر عشيقته ويعود الى زوجته الامينة ترك البلاد وهاجر معها الى حيث لا أدري ولم أعد اسمع عنه خبراً وقد يئست من لقياه . وكان والدي لم يزل حيًا فعطف عليَّ يعزّيني ويسرّي همومي وانا لا أرى للتعزية سبيلاً وقد ولدتُ هذه الطفلة واشتدت الفاقة بي بعد وفاة والدي ولم يبقَ لي ما يخفف وطأة الحزن في نفسي الاّ سكب العبرات وتصعيد الزفرات

ولما فرغت المرأة من كلامها اجهشت في البكآء وتأثر فيليب لحالتها فبكى لبكائها وطار وفوءاده يكاد يتقطع ألمًا وكآبةً وقد رأى في مسيره اموراً كثيرة من همجية الانسان وفظائعه التي يخفيها تحت ستر التمدن. ثم رأى اشباحًا تجسمت امامهُ وانفرد منها واحد فتقدم اليه ولمسهُ بيده وقال -هذه هي اشباح المصلحين الكبار. فهذا شكسبير وهذا فيكتور هيكو.. وسمى غيرهما واستتلى قائلاً — انك قد رأيت وسمعت ايها الفتى ما لم يره ولم يسمع بهِ غيرك فاذهب وقل للناس ان هذا التمدن الحديث هو تمدن موهوم لانهُ مبني على الفساد وكل بنآء لاُيشاد على اساس الفضيلة والاداب فهو فاسد وسريع الدمار...

ولم يُفق فيليب الاّ على صوت ابيهِ وهو يوئنبهُ لتأخره في النوم. فقام يفرك عينيهِ وهو يودُّ ان يعود الى النوم ليرى احلامًا جديدة

(عن الفرنساوية بتصرف) عزيز عريضه



## كلمات

ما كل هنة هينة ومهنة مستحسنة

الظن غريزة في عقول الناس متفاوتة القوى ـ ورب ظنون تبيضُّ لها وجوه وتسودُّ اخرى

الاميال غريزية في الانسان عن وراثة واكتسابية عن معاشرة. اما تأثيرها فيختلف باختلاف المبادىء الدينية والتهذيبية

كلما ارتخى عنان اهواء النفس ـ والنفس امارة بالسوء ـ كلما جمحت العواطف وثقلت وطأة الحياة

سر التهتك فضيحة لا يصونها الحجاب ولا الكتمان . وقد يكفي الساقط تبكيت ضميره وعذاب الذكرى

الندامة الحقيقية بعد ارتكاب الجريمة تردُّ مع تمادي الايام راحة الضمير المفقودة

الملذات الوقتية تعقب في الاخلاق ضيقاً وفي القلب انقباضاً

الخمرة في حين تأثيرها بركان العواطف والاميال وقهارة الضمير والارادة

اللذة في الاعمال على قدر ما يُستفاد منها وألذُّها اداء الواجب

اهمُّ اسباب راحة المعيشة تجنب المخالطات العمومية

الرصانة والجدُّ دعامتان تحفظان كيان اي المراكز من كل تداع والعكس بالعكس

الالفة اكبر عامل في سلامة النظام الاجتماعي والشقاق آفة آفاتها

لا اتعب من عهد الزواج ولا اعطب من زمن العزوبة

المرأة قوية اذا ارادت لكن الرجل اقوى منها. انما هي مخيفة اذا حقدت

اذا عدت مظالم المجتمع الانساني فاولها سيطرة القوي على الضعيف وآخرها الاستئثار بالسلطة على حقوق المرأة

السعادة اسم بلا مسمى او آمال اول حدودها الابدية

خير الكتَّاب من يكتب في الثورات الفكرية الحقيقية عن روية واختبار وارادة مطلقة

سمعان بطرس اللاذقاني

# متفرّقات

## العرَب

قرانا في جريدة «ريتش» وهي من الجرائد اليومية المشهورة التي تصدر في بطرسبرج مقالة ضافية لحضرة الكاتب الروسي العصري الخواجا ثيدورف تحت العنوان المذكور نقتطف منها ما ياتي :

اجتمعتُ ببعض ادباء القدس في منزل الخواجا بندلي الجوزي استاذ الآداب العربية في كلية قازان وكان معي الخواجا كراتشكوفسكي المستشرق الروسي وكان قد جاء الشرق في مهمة علمية فاقام في مصر وسوريا وفلسطين لهذه الغاية سنةً ونصفاً فاتقن اللغة العربية وتخلق باخلاق العرب وعاداتهم . اما الادباء الذين اشرت اليهم فهم الاستاذ خليل السكاكيني والشاعر الكاتب اسعاف النشاشيبي واريسطوقراطي من سلالة الفاتحين جميل الخالدي وكان حديثنا بعضهُ بالفرنسوية وبعضه بالانكليزية واكثره بالعربية . وكان رفيقي المستشرق وصاحب المنزل يترجمان الحديث فكنت اسمع وانا مسرور مرتاح حديث هؤلاء الشبان المتقدين ذكاءً وحماسةً ووطنية وقد علمتُ اموراً كثيرة خطيرة مما لا نعلمهُ نحن الاوروبيين عن هذه الامة العظيمة بتاريخها وتقاليدها وآدابها . ولا يخفى ان جمهور السياح الاوروبيين اذا كتبوا شيئاً عن سوريا وفلسطين انما يلتقطون ذلك من افواه الحوذيين والحمالين والباعة والمتجولين وغيرهم ممن يضاهون هذه الطبقات . وليت شعري ماذا يكتبون من الحقائق اخذاً عن هؤلاء الناس ؟

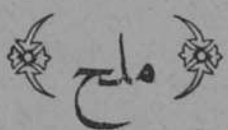
ان السوريين هم جزء من الامة العربية العظيمة المشهورة بعمرانها وتاريخها وشعرها وهم الان منحطون في العلم والادب بسبب استبداد الحكومة السابقة بهم وبغير ذلك من الاسباب التي لا حاجة الى ذكرها

كنت جالساً اسمع اللهجة العربية وكأني اسمع انغاماً موسيقية جميلة يُستشف منها القوة والعناد وكان تلك الالفاظ نار تستعر حدةً ثم لا تلبث ان تخمد فيستولي بعدها التأمل والسكينة . وبعد ان مضى هزيع من الليل اقترحت

علي النشاشيبي ان يسمعنا شيئاً من شعره فأنشدنا قصيدة في الحرية (ذكرى فتاة مكدونيا) ارتحت اليها كل الارتياح واكبرت المعنى العربي العظيم في اللفظ العربي الفخيم وخلت وانا اسمعه كأَني اسمع اصوات جمهور لا صوت فرد. .
كان هذا الشاعر يقرا قصيدته وفي كل نبرة من نبراته معانٍ عظيمة وقد ظهر لي وهو يقرا نشيطاً عنيداً متحمساً . هذا الشاعر عربي قبل كل شيء ومسلم ولكنه ممتزج مع اخوانه المسيحيين امتزاج الراح والماء . ويا ليت جميع عناصر هذه الامة الكبيرة تتحد وتنبذ العداوات القديمة فتقوى وتتمهد لها سبل الارتقاء

ان الدستور لم يرقّ السوريين الرقيّ المطلوب في هذه المدة اليسيرة غير ان آمال الصحافة السورية وآمال الشعب السوري عظيمة جداً بالارتقاء والعمران. وقد تحققتُ ان في البلاد بضع عشرات من الجرائد العربية المخلصة لامتها ووطنها كل الاخلاص ولكن اكثرها في عسر مالي قضى على بعضها بالموت العاجل ويُخشى ان يقضي على البعض الآخر فتنطفىء تلك المصابيح وقد نضب زيتها . ولا بدَّ لي هنا من الاشارة الى بعض كبار صحافيي العرب الذين خدموا امتهم ووطنهم بقلمهم واشتهر اسمهم عند الاوروبيين . فمنهم جرجي زيدان صاحب مجلة الهلال الذي كان في اول امره فقيراً وضيعاً فاصبح بجده وعلمه وثباته من العلماء الاعلام الذين تشتهر بامثالهم الامم الراقية . ومنهم صروف ونمر صاحبا المقتطف والمقطم اللذان اخذا على عاتقهما منذ سنين طوال تعريف الناشئة العربية بكل علم وفن من العلوم الاوروبية والفنون العصرية ومنهم محمد كرد علي صاحب المقتبس وهي المجلة الطافحة بالآثار الشرقية مما يرتاح اليه المستشرقون . . .

فنشكر لحضرة الكاتب الفاضل حسن ظنه بالشعب السوري وثناءه على بعض رجاله وصحافييه



## ملح

سأَل معلم تلميذاً له ـ ماذا تقدر ان تفيدني عن فصول السنة الاربعة ؟ فأَجاب التلميذ قائلاً — في الربيع والخريف يجوز لنا ان نسير بعض الاحيان حفاة الاقدام . وفي الصيف نسير حفاة على الدوام وبعكس ذلك في الشتآء



كان احد الوعّاظ يبيّن لبعض

مدمني المسكرات اضرار الخمر ومما قاله لهم في سياق الحديث ان المسكر هوعدو الانسانية وعدو العقل والاداب. فقال احد السامعين — ولكني سمعتك مرة تقول في اثناء عظتك ان الانجيل يأمرنا ان نحب عدوّنا فقال الواعظ — يأمرك الانجيل ان تحب عدوك لا ان تشربه وتبلعه

* * *

مما يحكى عن الفيلسوف اسحاق نيوتن انه ربى هرّتين وكان يحبهما كثيراً بحيث كانتا لا تفارقانه في اثناء شغله الاّ قليلاً ولكي يجعل ممرّهما اليه مباحاً على الدوام استدعى نجاراً وأمره ان يفتح في باب غرفته كوتين صغيرتين لهما فثقب النجار كوة واحدة وقال — انها تكفي الاثنتين فلم يقتنع الفيلسوف بل امره ففتح كوة اخرى

* * *

ادّعى احد المشعوذين انه يستطيع ان يستطلع الخفايا ويكشف المخبات فأتاه احد الظرفاء يوماً وسأله ان يبيّن له غوامض مستقبله فجعل المشعوذ يسرد له ما حضره من الكلام ولما فرغ ودّعه الظريف شاكراً وانثنى راجعاً. فاستوقفه المشعوذ قائلاً — والاجرة ؟ قال — عجباً أفلم تستطلع خفاياي ؟ فقد جئت اليك وانا مصمم ان لا ادفع لك الاجرة الاّ اذا تمّ كل ما ذكرته لي. فخجل المشعوذ وتركه وشانه

* * *

مات من عهد قريب في احدى مدن المانيا رجل من الاشراف وشيع جنازته جمهور غفير من الشعب ولما كان الكاهن واقفاً عند ضريحه يتلو صلاة الدفن قال احد الحضور — اني اسمع حركة داخل التابوت .. فحدث سكوت عميق واشرأبت الاعناق. فلما لم يسمعوا شيئاً عاد الكاهن الى صلاته. فقال رجل اخر — وانا قد سمعت حركة .. فجعل القوم يتبادلون النظرات وقد بدت الدهشة في وجوههم. فتقدم رئيس بلدية تلك المدينة واصاخ بسمعه ثم صرخ بصوت جهوري — ايها الفقيد الكريم اذا كان لك ما تقوله فكلنا مصغون وعاملون بوصيتك. وكرر ذلك ثلاثاً. فلما لم يجب المائت بشيء هالوا عليه التراب ...

* * *

وُجد فحام قتيلاً في وسط حرش تحت بلوطة كبيرة وقد مضت الايام والسنون دون ان يقف احد على اثر القاتل وُسدل على هذه القضية حجاب

النسيان . وكان للفحام فتى صغير فلما بلغ سن الرشد خرج مرة للصيد مع بعض رفقائه واتفق انه راى غزالاً فاطلق عليه عياراً نارياً فاخطاه ونجا الغزال ولكنه سُمع للحال صوت قائل يقول - آه لقد قتلت . فذعر الفتى وبادر الى محل الصوت فراى شيخاً مطروحاً على الارض مضرجاً بدمائه وقد علت وجهه صفرة الموت . فجثا الفتى امامه وجعل يتوسل اليه ان يصفح له جريمته . فقال المحتضر - لا تعتذر يا ولدي فان الحق اخذ مجراه وقد نلت ما جنته يدي الاثيمة فانا الذي قتلت اباك في هذا المكان وتحت هذه البلوطة وقد شربت الارض دماءه كما انها تشرب دمائي الان .. قال هذا وفاضت روحه والفتى جاثٍ امامه وقد هاله الامر

جبران مطر

## الالعاب الرياضية في القدس

كان يوم السبت الواقع في ٨ نيسان الجاري موعداً للالعاب الرياضية التي قام بها تلامذة مدرسة صهيون الانكليزية في القدس وقد حضرها جمهور من المدعوين على اختلاف الملل . فجرت الالعاب المتنوعة في ساحة كبيرة مخصصة لذلك وكان الحاضرون مبتهجين يشخصون بكل تشوُّق الى حركات اولئك الاحداث . اما السابقون من الدرجة الاولى فكانوا بديع عوده وتوفيق قسطا بشاره وسليمان دهشان وجراسموس نزال وقدتناولوا الجوائز من يد حضرة قنصل الانكليز والمس طمسن وانصرف المدعوون لاهجين بالثناء على هذه المدرسة وعلى حضرة رئيسها المستر الس واستاذ الرياضة البدنية فيها توفيق افندي زريق

## اهداء النفائس

اهدى المجلة عن هذا العام

(٢٤) حضرة الآنسة الاديبة بولينا حسون (حيفا) الى ابن عمها الاستاذ سليم افندي حسون (الموصل)

(٢٥) حضرة الفاضل نقولا افندي الخوري (طرابلس) الى الخواجا شارل عبد النور (كولومبيا) فنشكر لحضرتهما غيرتهما الادبية

---

وقع في ترتيب البيتين المدرجين في صفحة ١٧٦ من هذا الجزء خطا بعدم مد فاصل بينهما . ووقع في ترتيب حروف البيتين المنشورين في الصفحة ١٤٣ من الجزء الماضي غلطتان اقتضى التنبيه اليهما وهما في البيت الاول لفظة (تعالى) وصوابها «تتوالى» وفي البيت الثاني (فقدكان) وصوابها «فقد كاد»